فإن كان المراد بالكلي الذي هو الإله مطلق المعبود لم يصح لما يلزم عليه
من الكذب لكثرة المعبودات الباطلة وإن كان المراد بالإله المعبود بحق
صح وكان الأبلغ من هذه الأفصل كلمة لا أن يكون الإله كليا بمعنى المعبود
بحق والاسم المعظم علم للفرد الموجود منه فالمعنى على هذا لا مستحق
للعبودية له موجود أو في الوجود إلا الفرد الذي هو خالق العالم جل
وعز وإن شئت قلت في معنى لا إله هو المستغني عن كل ما سواه والمفتقر
إليه كل ما عداه وهو أخصر من المعنى الأول وأقرب منه وهو أيضا أطله
لأنه لا يستحق أن يعبد أي يتذلل له كل شيء إلا من كان مستغنيا عن كل ما
سواه ومفتقرا إليه كل ما عداه فظهر أن العبارة الثانية أحسن من الأولى
ولا سيما بجعل اندراج جميع عقائد الإيمان تحت هذه الكلمة ويتسع بها صدر
المؤمن ليقتبس أنوار المعارف ويكون على ساحل النجاة والأمن من كل خبط
وقع في معنى هذه الكلمة ويزول الضعف والغموض وفيه هذه الكلمة
المشرعة بشرح في أنوارها وتنزه في سلسبيل أنهارها ويجتني من ثمار معارفها
ويتمتع من تفريد أخبارها في آياتها ما كتبه له وهذا آخر ما في أصل العقيدة
التعمق بها لهذه الكلمة المشرفة وقال المقترح في الأسرار العقلية
في معنى هذه الكلمة المشرفة ما فيه ولفظ الاستثناء في الحقيقة لا يجري
على ظاهره ما يعمه كل فاصل من أنه نفي وإثبات إذ يلزم منه هنا كم وإيهام
وقد قال الفقهاء إن المقر بعشرة إلا ثلاثة مقر بسبعة لا بعشرة ونفي
منها ثلاثة إذ يلزم إلا يقبل منه ذلك لعدم للسبعة عبارتان سبعة وعشرة
إلا ثلاثة لكن صيغة التعبير لمح فائدة معنى الوحدانية إذ يلزم منه نفي
الكمية المنفصلة والمتصلة انتهى قلت يعني بالكمية المتصلة التركيب
في ذات الإله جل وعلا وبالكمية المنفصلة وجود إله ثان منفصل مماثل
وما ذكره من المعنى لدفع التناقض في الاستثناء لا يتعين فقد اختلف
علماء الأصول

مذكورة في كتب التفسير من جملتها أنه يحتمل أن يكون اللفظ خرج مخرج
الاستعارة أو التشبيه البليغ بأن جعل العدم في ظلمة استتر فيه وجود
الكائنات من السموات والأرض وما بينهما وما توقف خروجها من العدم إلى
الوجود بذاتها وصفاتها على إيجاد المولى العظيم تبارك وتعالى كما توقف
ظهور الأشياء المستترة بالظلمة على انتشار النور عليها أطلق هذا
الاعتبار على المولى جل وعلا أنه نور السموات والأرض أي هو جل وعلا
المظهر للسموات والأرض وجميع الكائنات بخلقه لها أولا وإمداده لها
ثانيا بالبقاء ذواتها بما لا يعلمه من تعقيبات الأعراض المتكاثرة كثرة لا يحصى
عددها إلا هو جل وعلا فلولا المولى تبارك وتعالى بما نشر على وجود الممكنات
من أنوار قدرته وإرادته وعلمه لوجب بقاؤها في ظلمة العدم أبد الآبد
ولعدم ادخره سبحانه على هذه القوالب ما نشر على وجودها من نور تعلق صفاته
بالبقاء لها وإمداده لها ضربة وقتيبة ودخلت في ظلمات عدمها الذي كانت عليه
حتى يقابل إظهار وجودها بأنوار قدرته وإرادته وعلمه عند البعث والنشأة
الثانية بتصحيح جنس تربيل في التراب وجودها ذاهبة وجائية كل
ظاهر إلى ما حكم به المولى العظيم جل وعلا وأراده في أزله فصح إذا أن يقال على
طريق مجازات لغة العرب واستعاراتها وتفننها في بلاغة تشبيهاتها
الله نور السموات والأرض ويحتمل أن يكون المراد بقوله تعالى الله نور السموات
والأرض أنه به تعالى ظهرت أنوارها الحسية من شمس وقمر ونجوم وسرج
وأنوارها المعنوية كعلوم الملائكة وعلوم الأنبياء والرسل والأقطاب
والأولياء والصالحين والعلماء وأحوالهم السنية المتنابعة لتلك العلوم
والمعارف وإن عز أن تلك العلوم والجوارح إنما استنارت بتلك العلوم ولا
جوارح ولا أجسام إلا بإنارة المولى العظيم لها لكان لا يجول لها وقوتها أهوا إذ تعلى
نورها ومثل هذا المجاز والتشبيه مألوف البلغاء في جو إنما يقولون

Copyright © King Saud University